# المبحث الثاني

## الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

إنَّ الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم والحديث عنه هو حديث عن النظام الرائد والخالد لهذا الكون والحديث عن نظامه الدقيق والله تعالى أوجد هذا الكون من العدم وأوجد فيه من المخلوقات ما لا يحصى عدداً، وجعل أشرف هذه المخلوقات هو الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

ولقد اختار الله ﷻ لهذه البشرية جمعاء دستوراً، وهذا الدستور هو القرآن الكريم المشتمل على جميع الأنظمة التي يحتاجها الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] وقد رتّب الله تعالى نتائج دنيوية وأخروية نتيجة سير الإنسان وفق هذا الدستور الإلهي العظيم، ويدرك الإنسان الحكمة الإلهية من خلقه. والله ﷻ لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم الإنسان في حياته إلا وضّحها له، ومن هذه الأشياء القواعد التشريعية التي تهمه، وهذه القواعد تدل على إنَّ هذا القرآن منزّل من عند الله تعالى والمبادئ السامية التي وردت في القرآن الكريم لهي برهان ساطع على مصدر القرآن، وأنَّه منزل من عند الله الواحد الأحد وفي نفس الوقت دليل صدق على نبوة سيدنا محمد ﷺ، ونجد إنَّ بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض، واقتضت

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

حكمة الله تعالى أن يترل القرآن الكريم فكان معجزة تشريعية تتحدى القوانين والمقننين، والفلسفة والفلاسفة، كما تحدّى اللغويين[1]. ونجد إنَّ الجانب التشريعي والخلقي في القرآن لآية وأيما آية على كون القرآن من عند الله، وليس من عند البشر فالأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمنها القرآن تخرج عن طوف البشر إحاطة ودقة وشمولاً.

سنلقي بعض الضوء في مبحث الإعجاز التشريعي على جوانب من الهدايات القرآنية في: (١) العقيدة (٢) الشريعة (٣) الأخلاق.

ونكتفي بذكر العمومات في ذلك؛ لأنَّه لا مجال لذكر التفاصيل التي تستغرق عمر الأجيال ولازال علماء الأمة الإسلامية يستنبطون تشريعاتهم وأنظمة حياتهم من آي الذكر الحكيم فنقول وبالله التوفيق:

## المطلب الأول: العقيدة

العقيدة الإسلامية عقيدة سهلة خالية من التعقيد ملائمة للفطرة الإنسانية تملأ النفس طمأنينة وارتياحاً، والعقل قناعة. وقد وضّح الله تعالى العقيدة في كتابه المجيد بأسلوب عذب جذاب لا يمكن لمن سمعه إلا أن يستجيب لنداء الحق تعالى.

أ. ففي مجال توحيد الله تعالى والاستدلال عليه من خلال مخلوقاته وآثار الإبداع فيها، وهي الطريقة الفطرية للإقناع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن: ٢٥، وينظر: القرآن وإعجازه التشريعي: ٣٧، والإعجاز التشريعي في القرآن: ١١.

ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1] وقد ردَّ القرآن شُبه المنحرفين وزيغهم عن عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية الصادقة[2]، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٩٥-١٠٤.

(٢) ينظر: مظاهر من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جانب العبادات: ٣١، وينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة: ٤٧، وينظر: الإعجاز والبيان: ٣٠-٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].

ب. يقرر القرآن عقيدة البعث بعد الموت والحساب والجزاء يوم القيامة أوضح تقرير، فيوم القيامة من مستوجبات العدل الإلهي المطلق، فلابد من التمييز بين المحسن والمسيء والصالح والطالح، قال تعالى: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾[3] والإيمان بالبعث بعد الموت عنصر مهم في تقويم سلوك الإنسان في الحياة ودفعه نحو الكمالات النفسية والابتعاد عن الرذائل؛ لذا نجد القرآن الكريم يصف منكري البعث بالخسران في قوله: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[4]. ولّما كان البعث بعد الموت من الأمور الغيبية التي لا تدرك آثارها فقد أكثر القرآن من ضرب الأمثال والحجج العقلية عليها، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١-٩٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥-١١٦.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٣١-٣٢.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1]. ولقد خسر الكافرون بالبعث عقولهم وأفهامهم إذ فهموا -خطأً- أن لا حكمة من خلقهم. وخسروا ما أعدَّه الله لأوليائه المؤمنين يوم القيامة[2].

## المطلب الثاني: الشريعة

لقد شرَّع الله تعالى للأمة الإسلامية في القرآن الكريم تشريعات مستمدة من العقيدة الراسخة التي توفر له السعادة والطمأنينة ويسمو به نحو الكمال البشري. وأنَّ هذه التشريعات تمتزج بالعقيدة امتزاج الروح بالجسد، ويمكن أن تلمس هذه النتائج من خلال التطبيق الجاد المخلص لأحكامه، وهنا إشارة سريعة إلى جملة من هذه التشريعات والأسس التي تضمنها القرآن الكريم[3].

### ١- الرابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي:

والتي تكون على أساس رابطة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٨-٨٣.

(٢) ينظر: الإعجاز التشريعي في النظم الإسلامية وأثره في الدعوة الى الله تعالى: ٥٣، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٣٦.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٣٨.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

إنَّ الأساس الذي يبنى عليه هيكل المجتمع الإسلامي هو رابطة العقيدة التي تشكل الآصرة التي تربط الأفراد في المجتمع، وليس للرابطة الوطنية أو القومية أي أثر في المجتمع[2].

وقد تضمن القرآن من أحكام العبادات والمعاملات والحدود ما يقوي أواصر الجماعة ويثبت روح التعاون بين أفرادها ويعودهم على النظام والطاعة في المجتمع الإسلامي. فقرر القرآن الكريم من التشريعات التفصيلية للفرد والمجتمع ما يقطع دابر الشقاق والخلاف بين المسلمين[3].

ولقد تميّز تشريع القرآن وهديه يسوقه ما يسوق من تكاليف الدين موصولة بمصدرها، ويكونها مما أمر الله به سبحانه، فهي بذلك ليست في إتيانها كمالاً يمكن الوقوف دونه، وإنما هي من صميم إيمان المؤمن، ويمتاز بسوقه لهذه التكاليف في إيجاز لفظي يسهل استيعابه، ويمكن معرفة ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) ينظر: الإعجاز والبيان: ٣٣.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٣٩-٢٤٠، وينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٢.

هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

وتميز تشريع القرآن وهديه بتوازن دقيق لا تستقيم حياة البشر إلا به بين تطلعهم إلى الدنيا وحاجتهم فيها، وسعيهم إلى الآخرة وتشوقهم إلى ثوابها، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

وتميز أيضاً تشريع القرآن بتلطفه إلى النفوس البشرية عند تكليفها بما يريد ليقودها إلى الامتثال، وييسر عليها المشقة بما يرتبه على صالح العمل من عظيم الأجر. فهو إذا تعرّض لتشريع الزكاة مع ما فيها من معارضة لفطرة الإنسان بالجمع جعلها طهرة للمال: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٤١-١٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

وإذا تعرّض لتشريع الحج مع ما فيه من مشقة غالباً قرنه بمنافع مشهودة للحجيج، فقال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[1].

وإذا تعرّض للأمر بالصلاة بين أنَّها طريق للطهارة من الآثام، والبعد عن الفواحش: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

إنَّ الإعجاز التشريعي القرآني اتصف بجملة من الخصائص التي ميّزته من سائر المعجزات التي حفل بها القرآن الكريم، كما تميز بها عن غيره من التشريعات الوضعية القديمة والحديثة[3]. والمراد بالتشريع القرآني كل الأحكام العملية والاعتقادية، التي كان لها أثر مهم في إسعاد الإنسان على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، وليس المراد منه القوانين القضائية وما يتعلق بالنظم فقط[4].

**٢- المحافظة على الأرواح والدماء:**

جاءت التشريعات لصيانة دماء الناس فشرع القصاص في النفس والأعضاء فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية: ٤٥.

(٣) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٣.

(٤) ينظر: القرآن إعجاز: ١٧.

بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

وشرع من الأحكام ما صان أعراض الناس وحذر من انتهاكها ولم يبحها إلا بعقد الزوجية أو ملك اليمين، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وسنّ القرآن من التشريعات ما يحفظ أموال الناس ويمنع الاستيلاء عليها عن طريق الغش والخداع وأنواع الاستغلال الحرام، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] وأبدل بذلك إباحة البيع والشراء فقال تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٢-٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1].

**٣- مكانة الأسرة في القرآن وكيفية المحافظة عليها:**

أولى القرآن الكريم الأسرة اهتماماً كبيراً باعتبارها اللبنة الأولى من لبنات الأمة، فكلما كانت الأسرة قوية متماسكة ذات مناعة ضد الأوبئة الخلقية والانحرافات الاجتماعية بُني صرح الأمة قوياً منيعاً، وإذا كانت الأسرة منحلة كانت الأمة منحلة أيضاً فقد حث القرآن الكريم على الزواج والاستعفاف وجعل الزواج أصل نشوء الأسرة حيث قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[3].

وقد عُني القرآن الكريم بجملة من الوسائل التي يجب مراعاتها في الزواج منذ اللحظة الأولى، لحظة التفكير في الزواج، ومنها بعد أن يتم عقد الزواج، وأيضاً مراعاتها حيث الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب فترجع النفس عن غيّها. وقد أمر الله تعالى عند حصول النزاع بين الطرفين فيجب عرضه على المهتمين بشؤون الزوجين من القرابة لإيجاد الحل[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٤) معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم: ٣-٤، والإعجاز التشريعي في القرآن والسُنة: ٤٧، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٤١-٢٤٢، والإعجاز والبيان: ٣٤.

## المطلب الثالث: الأخلاق

لقد حثَّ القرآن الكريم على التمسك بفضائل الأخلاق بمختلف الأساليب، وحذّر من ارتكاب مرذولها، ونظرة القرآن الكريم إلى الأخلاق منبثقة من نظرته إلى الكون والحياة. وإذ كانت العقيدة الإسلامية تشكل جذور الدوحة الإسلامية وجذوعها فإنَّ الشريعة تمثل أغصانها والأخلاق تكون ثمارها اليانعة ومنظرها البهيج. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

ولقد عرضت آيات القرآن الكريم الدعوة إلى التحلّي بالأخلاق الفاضلة من خلال الالتزام بالأوامر الربانية والعقيدة الإسلامية وقد تنوعت الأساليب القرآنية في عرض الأخلاق والحث عليها، وكثيراً ما يكرر القرآن خلقاً من الأخلاق ويهدف من وراء ذلك إلى ملأ أسماع المؤمنين من هذه الصفة، فإذا سيطرت عليهم استشعروها في أنفسهم واتصفوا بها في سلوكهم.

ومثال ذلك نجد إنَّ القرآن الكريم كرر وصف ذات الله القدسية بصفة العزيز ما يقرب من تسعين مرة، ووصف به الرسول والمؤمنين فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالى إخباراً عن عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وفي هاتين الآيتين ضرب الله مثلاً على خلق (العزة)[1]. ونجد إنَّ القرآن الكريم يعرض جملة من أمهات الأخلاق على شكل وصية وميثاق يؤخذ على المؤمنين وعليهم الالتزام به قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

ويحث الله تعالى على الأخلاق من خلال الثناء على طائفة ممتازة مختارة من عباد الله الذين نهجوا في حياتهم الدنيا نهجاً ربانياً استحقوا هذا الثناء في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ

(١) ينظر: الأسرة المباركة في القرآن الكريم: ١٨١، والإعجاز والبيان: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّو۟ا بِٱللَّغْوِ مَرُّو۟ا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُو۟ا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّو۟ا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُو۟ا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾[1].

والحث على التقوى والصبر نجده في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2].

والأمر بالتواضع يأتي في صيغة خطاب موجه إلى الرسول الكريم محمد ﷺ حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّو۟ا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٧٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

ورسول الله هو القدوة والمثل الأعلى في سلوكه وتصرفاته، فأمره الله تعالى بخفض الجناح للأتباع، واستشارتهم في شؤون الدولة والحكم إنَّما هو رسم للمنهج الإسلامي في شؤون الحياة.

## المطلب الرابع: الكتب والبحوث المختصة بالإعجاز التشريعي

نذكر بعض الكتب والبحوث المختصة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم:

١- القرآن وإعجازه التشريعي، لمحمد إسماعيل إبراهيم.

٢- الإعجاز التشريعي، هناك فصل مستل من كتاب إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس.

٣- الأسلوب النفسي لمكافحة الجريمة، للدكتور محمد حسين علي الصغير.

٤- الإعجاز في علم المواريث، للدكتور ناطق محمد جواد النعيمي.

٥- الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، لصباح جاسم محيسن العبيدي.

٦- مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم.

٧- الإعجاز التشريعي والاجتهاد، للدكتور عابد السفياني.

٨- تيسير البيان عن إعجاز القرآن، للدكتور محمد أحمد الزين[2].

وغيرها كثير أشرنا إليها كل في مبحثه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٢) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٧-١٤٥.

## ❑ دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم:

تهدف هذه التشريعات إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته، وتحفظ له نظرته المستقبلية، وتوفر له التوازن الدقيق في متطلباته المادية والجسدية.

ونجد إنَّ تاريخ البشرية لم يحدثنا عن مصلح اجتماعي أو فيلسوف عبقري أنَّه وضع نظام حياة لشعب من الشعوب بمختلف فئاته بل حاول كثير من المصلحين أن يضعوا قوانين تنظيمية لدولة من الدول.

إنَّ التشريعات الإسلامية التي جمعت بين الروح والمادة فأشبعت كلاً منهما في الإنسان بما يناسبها، ووفرت الطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل لدليل على إنَّ أحداً من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي دليل وبرهان على إنَّها مترلة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات فأنزل ما ينظمها جميعاً ويوجهها لعبادة الخالق ﷻ.

وإنَّ الإعجاز التشريعي لآية بيّنة على إنَّ القرآن الذي اشتمل عليه هو كلام الله أنزله على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الانحراف والضلال إلى نور الإيمان والهداية[1] قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[2].

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن والسُنة: ٥٧-٥٨، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) سورة الصف، الآية: ٩.